The Chittagong University Journal of Arts and Humanities
ISSN 1993-5536
VOL.XXXVI, 2020 (pp.293 - 310)
Published in November 2024

حياة محمد حسين هيكل: مساهمته في الأدب والرواية

[মুহাম্মদ হুসাইন হায়কল-এর জীবনী : সাহিত্য ও উপন্যাসে তাঁর অবদান]

ড. হুমায়ুন কবির*

প্রতিপাদ্যসার: [মুহাম্মদ হুসাইন হায়কল আধুনিক যুগের একজন প্রখ্যাত সাহিত্যিক, সাংবাদিক, নাট্যকার, ইতিহাসবিদ ও মিসরী রাজনৈতিক ব্যক্তি ছিলেন। তাঁর পিতার নাম হুসাইন বিন সালিম। তিনি ১৮৮৮ খ্রি.২০ই আগষ্ট মিসরের সম্ভ্রান্ত পরিবারে জন্মগ্রহণ করেন ও ৮ই ডিসেম্বর ১৯৫৬ খ্রি. মৃত্যু বরণ করেন। পাঁচ বছর বয়স থেকে তাকে গ্রামের মক্তবে ভর্তি করানো হয়েছিল। তিনি ১৯০৯ খ্রি. আইন বিভাগে পাশ করেন। তিনি ১৯১২ খ্রি. রাজনৈতিক অর্থনীতিতে ডক্টরেট ডিগ্রি অর্জন করেন। মুহাম্মদ বিন হুসাইন কিছু দিনের জন্য আইন পেশায় নিজেকে নিয়োগ করেছিলেন। তিনি ইসরা ও মিরাজ স্বশরীরে অস্বীকার করেন। ফলে তাঁকে নাস্তিক আখ্যায়িত করা হয়েছিল। পরবর্তীতে তিনি অবশ্যই তা থেকে ফিরে আসেন। তাঁর লিখিত রচনাবলী হলো: হায়াতু মুহাম্মদ, আদওয়াউন আলাস সুন্নাতিল মুহাম্মদিয়া, মানজিলুল ওয়াহয়ী, ছাওরাতুল আদাব, সিদ্দিক আকবর (রা.), ওমর ফারুক (রা.), আশরাতু আইয়ামিন ফিস সুদান, ওয়ালাদী, তারাজিমু শারকিয়্যা ওয়া গারবিয়্যা, ফি আওকাতিল ফেরাগ, জানজুক রুসু, জায়নাব, আবীস, হা-কাযা খুলিকাত, ইসলামি সাম্রাজ্য ইত্যাদি। তিনি রাজনৈতিক অবদানের সাথে সাথে সাহিত্য জগতে বিশাল অবদান রেখেছেন। তিনি প্রথম আধুনিক আরবি উপন্যাসের জনক। তাঁর রচিত জয়নব নামক উপন্যাসটি আরবি সাহিত্যের প্রথম উপন্যাস হিসেবে পরিচিত। যা ১৯১৩ খ্রি. প্রকাশিত হয়েছিল। তাতে আলোচিত ব্যক্তি হলেন: বাগানের মালিক মাহমুদ, মাহমুদের ছেলে হামেদ, হামেদের প্রেমিকা জয়নব, মাহমুদের ম্যানেজার ইবরাহীম, হামেদের দ্বিতীয় প্রেমিকা আজিজা, হাসান যিনি জয়নাবকে বিবাহ করেন, খলিল হাসানের বাবা প্রমুখ।**]**

التقديم

محمد حسين هيكل أديب شهير وصحافي، وروائي ومؤرخ وسياسي مصري كبير، وكاتب، وباحث ترك مجموعة من الكتب الأدبية والدراسات الإسلامية، ويعتبر محمد حسين هيكل رئيس تحرير جريدة "**السياسة**" في الفترة الأولى من حياته من أبرز المستغربين، وقد أنكر الإسراء بالروح والجسد معا انطلاقا من نظرة عقلانية في كتابه "**حياة محمد**"، وقد روى عدله عن ذلك في آخر حياته، وكتب ذلك معبرا عن توجهه الجديد في مقدمة كتابه "**في منزل الوحي**".

* Associate Professor, Department of Arabic, University of Chittagong

تعارفه

هو محمد بن حسين بن سالم هيكل كاتب صحفي، مؤرخ من أعضاء المجمع اللغوي، ومن رجال السياسة، بمصر. (الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ. ***الأعلام.*** دار العلم للملايين، أيار/ مايو ٢٠٠٢م، ج٦، ص١٠٧).

ولادته

ولد محمد بن حسين في ٢٠ أغسطس ١٨٨٨م الموافق ١٢ ذو الحجة ١٣٠٥هـ في قرية كفر غنام في مدينة المنصورة، لمحافظة الدقهلية، بمصر لأسرة ريفية مصرية صميمة، لها بعض الوجاهة والثراء. (الزركلي، ج٦، ص١٠٧).

حياته العلمية

لما بلغ الخامسة من عمره ألحقه أبوه بكُتَّاب القرية، فتعلم القراءة والكتابة وحفظ نحو ثلث القرآن الكريم، وتحول من هذا الكُتَّاب في السابعة من عمره إلى القاهرة، فالتحق بمدرسة الجمالية الابتدائية، ثم بمدرسة الخديوية الثانوية، ولما أتم هذه المرحلة انتظم في مدرسة الحقوق، وتخرج منها سنة ١٩٠٩م، وظهر فيه ميله إلى الأدب منذ أن كان طالبا في الحقوق، فعكف على قراءة الآثار العربية القديمة، واتصل بلطفي السيد، محرر الجريدة، وفتح له صدر هذه الصحيفة ليكتب الحقوقي الصغير، ورعاه خير رعاية، وكان لهذه الرعاية أثرها البعيد في نفسه، فقد التقى بمعلم الشباب الناهض مباشرة، أصبح من مريديه وممن يتلقون عنه دروسه في السياسة والاجتماع والأخلاق، وشعر شعورا كاملا بما كان يدعو إليه لطفي من الإيمان بالمصرية والعمل على إبرازها في حياتنا السياسية والأدبية واللغوية، كما شعر شعورا عميقا بما كان يدعو إليه من وَصْل حياتنا العقلية بالغرب والتزود من ينابيعه، وظهر أثر ذلك فيما كان يكتبه بالجريدة. فلما تخرج من الحقوق رأى أن يتم تعليمه في فرنسا، فسافر إلى باريس، والتحق بكلية الحقوق فيها، وحصل منها على الدكتوراه في الاقتصاد السياسي سنة ١٩١٢م. (شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف (المتوفى: ١٤٢٦هـ). ***الأدب العربي المعاصر في مصر***. دار المعارف، الطبعة: الثالثة عشرة. ص٢٧٠).

وحصل على الدكتوراه في الحقوق من السربون بفرنسة ١٩١٢م وافتتح مكتبا للمحاماة بالمنصورة. وأكثر من الكتابة في جريدة (الجريدة) وترأس تحرير جريدة السياسة اليومية عام ١٩٢٢م ثم الأسبوعية، ودرّس القانون المدني في الجامعة المصرية القديمة. وكان من أركان الحزب الدستوري المناوئ لسعد زغلول وحزبه. (الزركلي، المرجع السابق، ج٦، ص١٠٧).

حياته العملية:

اشتغل محمد حسين هيكل بالمحاماة في مدينة "المنصورة". ومنذ سنة ١٩١٧م أخذ يلقي بعض المحاضرات في الجامعة المصرية الأهلية، حتى إذا أنشأ حزب الأحرار الدستوريين جريدة "السياسة" سنة ١٩٢٢م تولى تحريرها. وطبيعيا أن ينضم إلى هذا الحزب وأن يتولى تحرير جريدته؛ لأنه امتداد لحزب الأمة الذي كان يحرر أستاذه لطفي السيد صحيفته "الجريدة". وانضم إليه في هذا التحرير زميل من تلاميذ لطفي السيد، عاد هو الآخر إلى مصر من باريس، هو طه حسين، فنهضا معا بتحرير صحيفة الأحرار الدستوريين. وغلبت على هيكل في كتاباته النزعة السياسية، بينما غلبت على طه حسين النزعة الأدبية. وأخرج هيكل في سنة ١٩٢١م جزءًا عن جان جاك روسو وأتبعه بجزء ثانٍ في سنة ١٩٢٣، فتم له بذلك كتاب طريف عن روسو وآرائه وتعاليمه. (شوقي ضيف، المرجع السابق، ص٢٧١)

وولي أيضا وزارة المعارف مرتين، ثم رئاسة مجلس الشيوخ (١٩٤٥ – ١٩٥٠م) وكان أول ما أصدر مجلة (الفضيلة) يطبعها على (البالوظة)، ويوزعها في قريته. (الزركلي، ج٦، ص١٠٧).

وقد أخذ في أثناء ذلك يتولى شؤون بعض الوزارات، وكان أول ذلك في سنة ١٩٣٧م حين جعله محمد محمود في وزارته وزيرا للدولة، ثم جعله وزيرا للتربية والتعليم، وما زال يتولى هذه الوزارة من حين إلى حين حتى عُين في سنة ١٩٤٥م رئيسا لمجلس الشيوخ، وظل في هذه الرياسة حتى سنة ١٩٥٠م. (شوقي ضيف، ص٢٧٣).

زندقته

قال سفر بن عبد الرحمن: وممن أنكر الإسراء والمعراج مُحَمَّد حسين هيكل نص ذلك في كتابه "حياة محمد"، وهذا الرجل يفسر سيرة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم تفسيرا عصريا وليس هو وحده في هذا الحقل، لكن هو أشهر من كتب في ذلك، والسبب أن كثيرا من الكتاب اتبعوا بعض المستشرقين.

ومن خطط المستشرقين تجريد النبي صلى الله عليه وسلم من وصف النبوة فرأى المستشرقون أن الصواب في الحط من قدر النبي صلى الله عليه وسلم هو بإنكار نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وغمط ما أظهره الله تعالى على يده من الحق، وجحد ذلك، والطعن في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم سبابا وشتما كما كانت تفعل الكنيسة ورجال الدين، الغربيون في القرون الوسطى منذ الحروب الصليبية وقبلها وبعدها، فلقد كان هم كل منهم أن يخطب فيشتم النبي صلى الله عليه وسلم ويسبه سبا فاحشا وحاشاه صلى الله عليه وسلم عما يقولون.

ومن قولهم: إنه كذاب ودجال وليس بنبي فعل وفعل وهكذا، حتى أوجدوا في العقلية الغربية الأوروبية مناعة غريبة جدا، فلا تريد أن تسمع عن هذا النبي أي شيء، كما هو حالهم إلى اليوم، ولا يريدون أن يقروا بأي فضل له صلى الله عليه وسلم.

هذا المنهج وجده بعض الناس من المفكرين الغربيين أنه أولا: غير علمي، لأنه مجرد شتم.

تأثر العصرانيين والعقلانيين بمنهج المستشرقين بعض الناس، وهم الذين ينتهجون المنهج العقلي أو المنهج العصري من المسلمين، وهم من تلاميذ أو من أتباع مدرسة الشيخ محمد عبده العقلية، ومنهم محمد حسين هيكل هذا، ومنهم أيضا عبد الرحمن عزام وغيرهم.

فكتب أحدهم بطل الأبطال، والآخر كتب الرسالة الخالدة، وآخر كتب حياة محمد، وآخر كتب محمد هكذا فقط، وطه حسين كتب على هامش السيرة، كل هذا الكلام يكتبونه على أساس أن هذا رجل مفكر، داهية، سياسي، عسكري، عبقري، إلى آخر ذلك، إلا أنه لا يعمل بأمر من الله أو بوحي من الله، فهذا وإن كانوا لا يصرحون بإنكاره لكنهم لا يكادون يأتون عليه ولا يذكرونه. (سفر بن عبدالرحمن الحوالي، ***شرح العقيدة الطحاوية***، (د.ت)، ص١٨٠٧).

يقول محمد حسين هيكل: إن الإسراء والمعراج، هو استجماعة نفسية وروحية، حصلت ولا تحصل إلا لمن بلغ درجة عالية من الروحانية، فكأنه استجمع في نفسه الوجود منذ أول الوجود إلى آخره، وإذا جئت تنظر في معاني ألفاظ هذه الكلمات لا تجد تحتها أي معنى، ولا تجد لها أي قيمة، إلا أن المقصود هو أن يجرد الإسراء والمعراج عن كونه آية جعلها الله لهذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد رد عليه الشيخ محمد الغزالي، وأنكر عليه ذلك، لكن الشيخ نفسه فيه نوع من التأثر بالمنهج العصري، فلهذا جاء في كلامه أيضا ما يلمح بأن من الممكن أن يفسر الإسراء والمعراج تفسيرا ماديا أو شبه مادي، لأنه يقول: إن كلمة البراق مشتقة من البرق. (الحوالي، سفر بن عبدالرحمن، ص١٨٠٨).

مؤلفاته

وله مؤلفات كثيرة منها ما يلي:

١. «**حياة محمد**»: هي سلسلة من المقالات، كتبها محمد حسين هيكل في "السياسة الأسبوعية" من وقت الآخر خلال أعداد الأعوام ٣١/ ٣٢/ ١٩٣٣م. تناولت حياة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم في كل مرحلة من مراحلها، بعد أن تناول بلاد العرب قبل الإسلام، مفصلا سيرة الرسول من ميلاده إلى زواجه، ثم بعثته بأسلوب يجمع بين روعة التحليل ودقة التعليل، مع حسن السرد وجودة العبارة، حتى يصل إلى الفصل الحادي والثلاثين المسمى "دفن الرسول". وعلى هذا دارت مقالات الكتاب حول السيرة النبوية التي تحجب كل ما عداها.

وتعد مقالات الكتاب دراسة واعية للإسلام ورسوله ومميزاته في التزام الطريق نحو إيجاد نهضة فكرية وحضارية، لا تتحقق إلا ببعث الماضي الكريم، والحضارة الشريفة التي هي ثمرة لفهم الدين الإسلامي، وغرس من عمل الرسول الكريم. وتجمع مقالات الكتاب بين منطقية العلم ورقة العاطفة. (السيد مرسي أبو ذكري، ***المقال وتطوره في الأدب المعاصر***، دار المعارف، الطبعة: ١٩٨١-١٩٨٢م، ص١٠١).

وينكر فيه معجزاته صلى الله عليه وسلم، ويطعن في السنة ويشكك في صحتها وفي صدق الأحاديث التي انطوت عليها بصورة. (مشاري سعيد المطرفي، ***آراء محمد رشيد رضا العقائدية في أشراط الساعة الكبرى وآثارها الفكرية***، مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص٣٣٠.

قد قيل حول كتاب حياة محمد أن الخلاصة هذا كتاب مسموم، إذ قام على أساس منهار، إذ صرح مؤلفه في "مقدمته": إنني لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث لأنني فضلت أن أجري في هذا البحث على الطريقة العلمية، بل تراه يطمئنك إلى أنه لم يأخذ حتى بما ثبت في الصحيحين، حفظا لكرامته، وإلتزاما بمنهجه وجادته فاعتمد فيه على العقل، وكاد أن ينكر صلة الوحي بالنبي صلى الله عليه وسلم وها هو مقرظه الشيخ مصطفى المراغي "شيخ الأزهر" إذ ذاك يكتب في أوله قائلا: "لم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة إلا في القرآن، وهي معجزة عقلية". ولذا فالكتاب قائم على ترويج صفة العبقرية والعظمة والقيادة وما شاكلها للنبي صلى الله عليه وسلم تعويضا عن صفات النبوة والوحي والرسالة وتغطية لها وإبعادا للفكر عنها. وحسبك يقينا بالقيمة العلمية الرفيعة في كتاب يحلل حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون هو الكتاب الذي يقع عليه اختيار اليهود ليستفاد منه في تغطية برامج دينية للمسلمين في إذاعتها الموجهة. (أرشيف منتدى الألوكة – ٤، تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م، هذا الجزء يضم: أخبار الكتب، ص٨٧٧١).

٢. «**أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث**»: من بعد الدكتور محمد حسين هيكل جاء المدعو محمود أبو ريه، والذي تأثر بآراء رشيد رضا في السنة النبوية، فأصدر كتابا سماه «أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث»، ملأه من أوله إلى آخره بالطعن في السنة النبوية وإنكار حجيتها مع إلقاء أفظع السباب والشتائم على رواتها وناقليها لاسيما على ناقلها الأول أبي هريرة رضي الله عنه، ثم يزعم بعد هذا أنه يدافع عن السنة النبوية. (مشاري سعيد المطرفي، ص٣٣١).

٣. **في منزل الوحي**: هنا أن يُقدِّم لنا وثيقة تاريخية وأدبية فريدة في أسلوبها، عظيمة في أثرها، غنية ووفيرة بما تحمله من معانٍ جمَّة، ورُوحانيات عالية، تسمو بالنفس لتطوف بها حيثُ طاف النبي وصحبه. يحمل لنا كثيرًا من المعاني التي جاءت في خاطره أثناء زيارته لمهبط الوحي وموطن الرسالة المحمدية. (https://www.hindawi.org/books/18175075/)

٤. **ثورة الأدب**: وفي سنة ١٩٣٣م نشر كتابه "ثورة الأدب"، وهو في هذا الكتاب يتحدث عن نهضتنا الأدبية منذ ثورة عرابي، ويبدأ حديثه بفصل عن "الطغاة وحرية القلم"، وكأنه يرد على الحرب العلنية التي شنَّها صدقي على كُتَّاب الصحف والسياسة. ثم يتحدث عن المراحل المختلفة لشعرنا ونثرنا ويعرض بالتفصيل لما

أصاب النثر من تطور بينما جمد الشعر ولم يستطع اللحاق به، وأكَّد في غير موضع ضرورة تثقف الأديب المصري الناشئ بالآداب الغربية؛ حتى نستطيع أن نحصل على مراتب الكمال الفني. وعرض في إسهاب لنواحي النقص عندنا في الإنشاء الأدبي وخاصة في بابي القصة والمسرحية. ورفع صوته مجلجلًا بضرورة إقامة أدب مصري وطني، وقدَّم نماذج قصصية استلهم فيها أساطيرنا الفرعونية. (شوقي ضيف، ص٢٧٣).

فهي مجموعة من المقالات الأدبية الممتعة، نشرت بالسياسة اليومية لمحمد حسين هيكل. تناولت الثورات التي شهدها نصف القرن الأخير في شؤون الكتابة والأدب، وجمود أصحاب المذاهب. ومن هنا تناولت الأدب المصري الخالص، ودعوة صريحة لبعض النقاد إلى تمصير أدبنا والاتجاه به اتجاها قوميا.

وتعتبر مقالات الكتاب من أخطر ما كتب هيكل في النقد؛ لأنها "تتحدث عن الثورات التي شهدها نصف القرن الأخير في شؤون الكتابة والأدب"، ولذا تعد مقالات الكتاب مرجعا لمن يستطلع الاتجاهات الفنية والنقدية لتلك الفترة، وتضم آراء قيمة في الأدب والفن لها وزنها وخطرها. (السيد مرسي أبو ذكري، ص٩٩).

٥. الصِّدِّيق أبو بكر رضي الله عنه. هو كتاب يدرس شخصية الخليفة الإسلامية مع ذكر أعماله والحروب والغزوات والفتوحات التي كانت بعهده وأهم الأحداث بعصره وغير ذلك.

٦. الفاروق عمر ١٩٤٤/١٩٤٥م. جزآن، وهذا أحدث كتاب أخرجه سعادة الدكتور محمَّد باشا هيكل في التاريخ الإسلامي، على النهج الذي سار عليه منذ عشر سنين، فكان عملا جيدا، أفادت منه الطبقة المحدثة من المثقفين، وقد ألف كثير منهم سهل الكلام ولينه، واستعصت عليهم كتب المتقدمين ونفروا منها، حتى جهلوا كثيرا من تاريخ قومهم، فجاءت كتب سعادة المؤلف عملًا جديدا، نهجا وسطا، بين كتب المتقدمين القوية الرائعة، وبين ما ابتليت به العربية، من القصص والروايات، الغالي منها والرخيص، والقوي منها والسخيف. عرض فيه التاريخ الإسلامي عرضًا شائقًا منظمًا، في لغة جيدة رائعة، رصعها بكثير مما اقتبس من عبارات المؤرخين السابقين؛ فقرب إلى المتوسطين ما بعد عنهم، وراض لهم ما استعصى عليهم، حتى إن الكتاب ليأخذ بلب القارئ، فلا يكاد يستطيع أن يضعه من يده إلَّا أن يأتي على آخره. أحمد محمد شاكر، ***جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر***، دار الرياض، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ج١، ص٢٦٠).

٧. **عشرة أيام في السودان:** وأخرج في سنة ١٩٢٧ كتابه "عشرة أيام في السودان"، وهو إلى أن يكون مناسبات صحفية أقرب منه إلى أن يكون فصولًا أدبية. (شوقي ضيف، ص٢٧٢).

٨. **ولدي:** وهو كتاب تذكاري لابنه المتوفَّى سنة ١٩٢٥م. وفي هذا الكتاب يصف رحلاته إلى أوربا مع زوجته في شهور الصيف من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٢٨، ونراه يصف وصفًا بارعًا مصايف سويسرا، ويقارن مقارنة طريفة بين باريس الحديثة وباريس القديمة أيام دراسته بها، ويتحدث عن إستانبول وما بعث فيها حكم مصطفى كمال من حياة حرة قوية.

٩. تراجم شرقية وغربية: بين الأديب فيه صورةً حيةً ونابضةً عن الحياة السياسيَّة المصريَّة في العصر الحديث.

١٠. في أوقات الفراغ : هي مجموعة رسائل أدبية تاريخية أخلاقية فلسفية.

١١. **جان جاك روسو:** هذا الكتاب يناقش قضايا عن جان جاك روسو وهو كاتب وفيلسوف فرنسي، ولد بسويسرا بجنيف.

١٢.وثلاث قصص، هي (زينب) و(أبيس) و(هكذا خلقت) و(الإمبراطورية الإسلامية) (الزركلي الدمشقي، ج٦، ص١٠٧).

فأخرج في سنة ١٩٥٥ قصة "هكذا خُلقت"، وهي قصة طويلة تقص حياة امرأة مصرية عصرية أصيبت بشذوذ الغيرة، واضطربت بهذا الشذوذ في محيط الدعوة الجديدة إلى الحرية النسوية، وسلَّطته على حياتها الزوجية فحطمتها مرتين كما يحطم الطفل لعبته. ونراه يقول عنها بلسانها. (شوقي ضيف، ص٢٧٢).

١٣. ومنذ سنة ١٩٢٦م كان يصدر ملحقا لصحيفة السياسة اليومية باسم "السياسة الأسبوعية"، وكاد هذا الملحق أن يكون قاصرا على مباحث في الأدب والنقد.

١٤. وفي سنة ١٩٢٩م نشر مجموعة من مقالاته باسم "تراجم مصرية وغربية"، وتبدأ تراجمه الأولى بكليوباترا، ثم يتبعها بتراجم لكبار المصريين السياسيين والمصلحين مثل: مصطفى كامل وعبد الخالق ثروت وبطرس غالي، أما التراجم الغربية فقصرها على بيتهوفن، وتين، وشكسبير/، وشيلي. ويوضح هذا الكتاب امتلاء نفسه بحب وطنه ورجاله الأفذاذ وحب الغرب وأعلام الفن والشعر والنقد فيه. (شوقي ضيف، ص٢٧٣).

١٥. تراجم مصرية وغربية:

مجموعة من المقالات، نشرتها "السياسة الأسبوعية" لمحمد حسين هيكل. تناول فيها بعض أعلام التاريخ والفن والأدب تحكي صورة صحيحة وصادقة لتاريخ مصر خلال الفترة من عهد إسماعيل حتى ١٩٢٩م، فتحدث عن اسماعيل وتوفيق ومحمد قدري وبطرس غالي ومصطفى كامل وقاسم أمين وإسماعيل صبري وعبد الخالق ثروت وغيرهم. كما تناولت جماعة من الغربيين من أمثال: بيتهوفن، وتين، وشكسبير، وشيلي. وعند طبعها في كتاب أضاف إليها فصلا عن كليوباترا أراد به أن يصحح الصورة التي زيفها مؤرخو الغرب لتاريخ مصر القديمة.

سلك هيكل في مقالاته طريقا طريفا، وأسلوبا فريدا، لم يألفه معاصروه من الكتاب، فتراه يعرض شخصياته، ويحللها بطريقة علمية داخل إطار الأسلوب الأدبي. (السيد مرسي أبو ذكري، ص١٠٠).

١٦. **كتاب "الحكومة الإسلامية"**: يجمع هذا الكتاب مقالات حول الأسس التي يقوم عليا النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الاسلام.

١٧. **عثمان بن عفان**: بين الكاتب شخصية عثمان رضي الله عنه.

١٨. **قصائد أندلسية** لمحمد حسين هيكل. (السيد مرسي أبو ذكري، ص٢٧٩).

١٩. **مقدمة الشوقيات**. (عمر الدسوقي، ***في الأدب الحديث***، (الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: الجزء الأول ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٤٨٦).

رجوعه من العلمانية

أما الدكتور محمد حسين هيكل فقد تراجع عن علمانيته كما يظهر بخاصة من بعض كتبه "في حياة محمد" و "منزل الوحي" "وأبو بكر الصديق" "والفاروق عمر" "والحضارة الإسلامية" (علي بن نايف الشحود، ***موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة*** ١-٢٩ ، الباحث في القرآن والسنة)، ج١٤، ص٦).

وفاته

توفي يوم السبت ٥ جمادى الأولى ١٣٧٦ هـ الموافق ٨ ديسمبر ١٩٥٦م عن عمر يناهز ٦٨ عاما (https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%)

مساهمته في الأدب

ولم يقصر هيكل نفسه على السياسة، بل أخذ يكتب مع طه حسين فصولًا في الأدب والنقد، وجمع مجموعة من هذه الفصول ونشرها في كتاب "أوقات الفراغ" سنة ١٩٥٢، والكتاب مقسم إلى ثلاث مجموعات؛ وتتناول المجموعة الأولى مباحث قيمة في النقد، وهو فيها يدل دلالة واضحة على تمثله للثقافة الغربية مع تعلقه بشعبه وثقافته وأمانيه في الحياة الفكرية الراقية. وترجم في هذه المجموعة ترجمة باهرة لأناتول فرانس وبيير لوتي، وتحدث حديثًا طويلًا عن قاسم أمين ودعوته إلى تحرير المرأة، وما كان يكنه لوطنه ودينه من حب وإجلال، ووصَف كيف رد في أثناء تعلمه بفرنسا على دوق داركور الذي عزا تأخر المسلمين إلى دينهم، فلما عاد إلى مصر تحول مصلحًا اجتماعيًّا، يريد أن ينفي عن أمته كل ما يعوق تأخرها، كما ينفي عن الدين كل ما يوصم به من جمود؛ ولذلك دعا دعوة حارة إلى النهوض بالمرأة المصرية المسلمة، حتى تكون على قدم المساواة للمرأة الغربية. وتناول هيكل في المجموعة الثانية بعض الشؤون المصرية بمناسبة كشف مقبرة توت عنخ آمون، وهو يصور هنا إيمانًا شديدًا بقومه وتاريخهم القديم. وفي المجموعة الثالثة خواطر في التاريخ والأدب، دعا فيها إلى الأدب القومي الذي يمثل بيئتنا وعصرنا وحياتنا؛ حتى تتضح ذاتيتنا، وحتى ننفصل في أدبنا بطوابع تميزنا من قدمائنا وجيراننا، فلا نكون نسخة من غيرنا أو نسخة مطموسة في النسخ العربية المعاصرة؛ بل يكون لنا وجودنا وكياننا الأدبي المستقل. (شوقي ضيف، ص٢٧١).

كتب الاستاذ أحمد تمام عن الدكتور هيكل

ينفرد الدكتور محمد حسين هيكل بين أبناء جيله، وكلهم هامات سامقة في عالم الأدب والفكر بأشياء حاز بها السبق والريادة، فسبق غيره في تأليف أول رواية عربية بقصته المعروفة "زينب"، وفتح لأصحاب القلم والبيان كتابة التاريخ الإسلامي على نحو جديد يجمع إلى جانب العمق والتحليل العرض الجميل، والأسلوب الشائق، والربط المحكم بين أحداث التاريخ. وكتب أيضًا أدب الرحلة، وسجَّل خواطره وما يجول في نفسه في كتابه الرائع "في منزل الوحي"، ودوَّن مذكراته السياسية، وما شاهده وشارك فيه من أحداث في كتابه "مذكرات في السياسة المصرية".

وحاز هذا السبق وهو غير متفرغ للعمل الأدبي، فقضى حياته كلها إما رئيسًا لتحرير جريدة أو وزيرًا في وزارة، أو زعيمًا لحزب، أو رئيسًا لمجلس الشيوخ، أو محاميًا في قاعات المحاكم. (أرشيف ملتقى أهل الحديث – ٤،

تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م، هذا الجزء يضم: ***خزانة الكتب والأبحاث***، قسم المكتبة الشاملة، قسم المخطوطات، قسم البرمجيات الإسلامية، ج٤٩، ص٣٧٢).

مساهمته في الرواية

وقد أكد على أن العرب كانوا يميلون إلى القصص القصيرة في الماضي بسبب حبهم للإيجاز، إلى أن جاء العصر الحديث، وترجموا النمط القصصي الجديد المعروف بالرواية، وبدأ هذا الشكل في الظهور في الأدب العربي، وكانت أول قصة عربية حديثة هي قصة زينب لمحمد حسين هيكل. (عبد الرحمن أبو عوف، ***بحوث ودراسات من موقع الإسلام اليوم***، (د.ت)، ج١، ص٢٨).

كانت القصة الطويلة حظيت في النصف الأول من القرن الحاضر بخمسة من كتاب مصر الكبار هم: المازني والعقاد ومحمد حسين هيكل وطه حسين ومحمود تيمور. (*مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة* . الأعداد (٨١ – ١٠٢) العدد١٤، ص١٣٣).

وكتب وهو في باريس "قصة زينب" وهي أول محاولة قصصية بارعة في أدبنا، عمد فيها إلى وصف حياة الريف والفلاحين بصورة لم يسبقه فيها أحد من المصريين. (شوقي ضيف، ص٢٧١).

أسلوب هيكل

من خلال مقالاته العديدة تبدو ملامح أسلوبه السياسي العنيف في الدفاع من الحرية والعدل والقانون، وهو أسلوب مرتب ترتيبًا دقيقًا، نظرًا لدراسته وثقافته القانونية، وأهم ما يميزه السمات التالية:

١. كثرة المقدمات بشكل يلفت النظر في المقال الأدبي والسياسي على حد سواء نتيجة لدراسة القانون، وممارسة البحث العلمي.

٢. صب الأفكار في قالب موضوعي، يعتمد على تحليل الجزئيات، حتى ينتهي لنتيجة حتمية دون إحساس بفتور أو ملل.

٣. يخضع للتقسيم والتحليل والتعليل، وتقديم المقدمات، واستخلاص النتائج.

٤. يجمع بين موضوعية العلم وذاتية الفن، ولذا يحس القارئ بلذة العقل والذوق معًا.

٥. الجنوح إلى التنظيم والتنسيق الفكري، ما يكشف عن شخصيته.

٦. شيوع الاستطراد في معظم كتاباته، واتخاذه وسيلة لتوضيح الأفكار والتدليل على صحتها، ما يعرب عن اتساع ثقافته. (السيد مرسي أبو ذكري، ص٢٣٩).

رواية زينب

يحكي الكاتب في هذه الرواية قصة زينب الفتاة المصرية البسيطة القروية التي أحبت إبراهيم الفلاح البسيط الذي يعمل معها في مزرعة السيد محمود، وكان إبراهيم يعبّر لها عن مدى حبه لها، لكنهما لم يتمكنا من إتمام هذا الحب والزواج لأنّ والدي زينب قررا تزويجها من شخص غني لا تحبه لأنه يستطيع أن يقدم لها المهر وليس كحبيبها الفلاح الفقير، وبالرغم من ألمها وحزنها للبعد والفراق عن حبيبها غير أنها استسلمت لرغبة والديها.

كما يُذكر الكاتب قصة حامد وحبه لابنة عمه عزيزة لكنه لم يستطع الزواج بها، ويلتقي مع زينب لفترة وجيزة، فهي من الفتيات اللواتي كان يغازلهنّ حامد لكنه لم يتزوجها، فيعيش حالة من اليأس والإحباط. (https://khaerjalees.com/h/%D8%AA%D8)

كتب هيكل هذه القصة "أول رواية في العربية" نشرت ١٩١٣م كان عنوانها الكامل باللغة العربية "زينب: مناظر وأخلاق ريفية" تصوّر الرواية الحياة في الريف المصري ويتناول العلاقات الزوجية والرومانسية التقليدية بين الرجل والمرأة والتفاعلات بين عمال القطن وأصحاب المزارع. وهو يدرس القانون بباريس، ونراه يقول في مقدمتها: إنها "ثمرة الحنين للوطن وما فيه، صوَّرها قلمُ مقيمٍ في باريس مملوء مع حنينه لمصر إعجابًا بباريس وبالأدب الفرنسي". وتتخلص حوادث القصة في أن فتى متعلمًا يسمى حامدًا من أبناء أعيان الريف أحب ابنة عم له تسمى عزيزة، ومنعته تقاليد الريف من الاعتراف لها بحبه، وفوجئ بزواجها. وبحث عن سلوى لحبه فوجدها عند زينب الجميلة، إحدى الأجيرات اللائي يشتغلن في حقل أبيه، وشعرت بحبه لها؛ ولكنها رأت أن زواجها منه غير ممكن لما بين أسرتها وأسرته من فروق اجتماعية، فمنحت قلبها شابًّا من وسطها وعلى شاكلتها. وتلعب التقاليد الريفية العتيقة دورها، فلا تبوح الفتاة بحبها لأهلها، وترضخ لرغبتهم في قرانها من

شاب لم تكن تحبه؛ بينما يرحل محبوبها إبراهيم إلى السودان عاملًا في الخدمة العسكرية. ويترك حامد القرية إلى القاهرة ليبدأ حياة جديدة، على حين تقع زينب فريسة لآلام نفسية كثيرة، تفضي بها إلى مرض ذات الرئة، ويقضي عليها هذا المرض. والقصة تعرض علينا في أثناء ذلك الريفَ المصري بعاداته وتقاليده وبساطة أهله ومحاسن حياتهم ومساوئها وما رَانَ عليها من اعتقادات في الجن والشياطين ومشايخ الطرق. ونقل ذلك هيكل نقلًا دقيقًا؛ بحيث تمثِّل قصته واقعَ حياة الريف المصري في أول القرن تمثيلًا صادقًا. ونراه يقف كثيرًا لينقد هذا الواقع، وما فيه من نظم اجتماعية غير متسقة، وخاصة من حيث الزواج، وأن المرأة ليس لها رأي في اختيار زوجها وشريك حياتها. ونشعر هنا بترديد المؤلف لآراء قاسم أمين ودعوته إلى تحرير المرأة. (شوقي ضيف، ص٢٧٥).

وهذه رواية ألفها محمد حسين هيكل حين أقامته بباريس ١٩١٠ وأرسلها حلقات إلى أستاذه أحمد لطفي السيد، فكان ينشرها في صحيفة "الجريدة" تصور القصة طبقات الريف المصري، وما يقوم بينها من عوائق اجتماعية، وتكشف النقاب عن استيعاب طبقة الفلاحين والأجراء، الذين يكدحون في سبيل لقمة العيش، وما يقيم رمقهم، ويسد أودهم. وتعتبر أول قصة طويلة فنية من الأدب التحليلي الواقعي، تتضح فيها دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة. (السيد مرسي أبو ذكري، ص٩٩).

ميزات رواية زينب

١. يُلاحظ بعد قراءة رواية زينب أنها اتسمت بعدد من السمات والخصائص الفنية، منها على سبيل الذكر لا الحصر ما يأتي:

٢. التخلص من سيطرة السجع وأسلوب المقامات الذي كان شائعا في فترة ما قبل كتابة هذه الرواية.

٣. استخدام الكثير من الألفاظ والعبارات العامية.

٤. استخدام بعض الإيحاءات التعبيرية التي تُصف منظر الريف وأخلاق الريفين.

٥. الوصف الدقيق للمجتمع المصري وطبيعته، خاصة الريف المصري.

٦. الاعتماد على المرجعية الاجتماعية في رسم الشخصيات.

٧. التخلص من سيطرة السجع وأسلوب المقامات الذي كان شائعًا في فترة ما قبل كتابة هذه الرواية .

٨. استخدام الكثير من الألفاظ والعبارات العامية.

٩. استخدام بعض الإيحاءات التعبيرية التي تُصف منظر الريف وأخلاق الريفين.

١٠. الوصف الدقيق للمجتمع المصري وطبيعته، خاصة الريف المصري.

١١. تأليف القصة الطويلة على النمط الأوربى. (*مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة* . الأعداد (٨١ – ١٠٢) العدد: ١٣، ص١٢٣).

١٢. وفي الحق أنه نجح إلى أبعد حد في وصف حياة القرية المصرية.

١٣. وكثير من صفحات قصته يتحول إلى ما يشبه لوحات بديعة، كهذه اللوحة التي عرض فيها صراع حامد النفسي إزاء بَوْحِه لابنة عمه بحبه.

١٤ . تأثر هيكل في وضع هذه القصة بما قرأه من القصص الفرنسي، ويتبين ذلك في تصويره زينب، فقد جعلها رقيقة أكثر مما ينبغي لفتاة ريفية ساذجة، واختار لها وسيلة تتخلص بها من آلام حبها هي مرض السل، طبقًا لنموذج بعض القصص الفرنسية التي قرأها، والتي تتخذ هذه الوسيلة لتخليص العاشقات المعذبات، وتحريرهن من عذابهن وآلامهن. (شوقي ضيف، ص٢٧٥).

١٥. يرى النقاد أن الكاتب المبدع محمد حسين هيكل تأثر إلى حد كبير بالفكر الرومانسي، خاصة الفيلسوف جان جاك روسو، وقد بدا ذلك جليًّا في رواية "زينب" التي تعد أول رواية عربية باتفاق النقاد،

حيث تدور أحداث الرواية داخل ثنائية (المجتمع/الطبيعة) هذه الثنائية تتجلى بصورة واضحة في شخصيات الرواية.

١٥. وهي رواية تصور الرواية الحياة في الريف المصري ويتناول الكاتب العلاقات الزوجية والرومانسية التقليدية بين الرجل والمرأة. (https://www.google.com/search?sxsrf=ALiCzsb2q1q74_1lefWbN9)

الشخصيات الرئيسية

دارت أحداث رواية زينب بين عدد من الشخصيات الرئيسية، وهي:

زينب: هي بطلة الرواية والشخصية التي تؤدي دورًا أساسيًا ومحوريًا في أحداثها، وهي فتاة مصرية جميلة تتعيش في إحدى القرى الريفية في مصر مع والدها وأخيها وأختها، تعمل في مزرعة السيد محمود وتتعرف على ابنه الشابّ (حامد) وتُعجب به.

حامد: يعدّ من الشخصيات المهمة في الرواية، وهو الابن الأكبر للسيد محمود، كان يحب البقاء في البلد وبين الناس، على عكس إخوته الذين كانوا يفضلون التنقل في المزارع، ويشار إلى أنّ حامد يُعجَب بجمال زينب وأخلاقها لكنه لا يتزوجها.

الشخصيات الثانوية

دارت أحداث رواية زينب بين عدد من الشخصيات الثانوية، وهي:

إبراهيم: هو أحد العاملين في مزرعة السيد محمود، وهو مسؤول عن الفلاحين وشؤونهم، يقع في حب زينب لكنه لا يتزوجها، وفي ما بعد يسافر للخدمة العسكرية تاركًا بصمته في حياة زينب.

حسن: يعد حسن شخصية بسيطة من عائلة غنية، يعمل في أحد المزارع الموجودة في قريته.

عزيزة: هي ابنة عم حامد، الذي أحبها لكنه لم يتزوجها، وكانت عزيزة تأتي في زيارة إلى القرية للراحة والابتعاد عن فوضى المدينة.

السيد محمود (والد حامد): يعد من كبار رجال القرية وشيوخها وأحد الأغنياء المصرين، يملك مزرعة كبيرة لتنقية القطن، ويمثل السيد محمود الشخصية الطيبة والحنونة في الرواية. خليل (والد حسن): هو من رجال

القرية وشيوخها، يعيش في منزل كبير مع أفراد عائلته، ويقرر أن يزوج ابنه حسن من زينب. والد زينب ووالدتها: هما من رتّبا أمر زواج ابنتهما زينب من حسن. (https://khaerjalees.com/h/%D8%AA%D8)

نتائج البحث

١ . محمد بن حسين هيكل أدي شهير وصحافي، وروائي ومؤرخ وسياسي مصري كبير، وكاتب، وباحث.

٢ . ولد محمد بن حسين في ٢٠ أغسطس ١٨٨٨م الموافق ١٢ ذو الحجة ١٣٠٥هـ في قرية كفر غنام في مدينة المنصورة، لمحافظة الدقهلية، مصر.

٣. حصل على الدكتوراه في الحقوق من السربون بفرنسة ١٩١٢م وافتتح مكتبا للمحاماة بالمنصورة.

٤. اشتغل محمد حسين هيكل بالمحاماة في مدينة "المنصورة". ومنذ سنة ١٩١٧م.

٥. قال سفر بن عبد الرحمن: وممن أنكر الإسراء والمعراج مُحَمَّد حسين هيكل نص ذلك في كتابه حياة محمد، ثم تاب عنه.

٦. من مؤلفاته «حياة محمد»، و«أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث»، وفي منزل الوحي، وثورة الأدب، والصِّدِّيق أبو بكر رضي الله عنه. والفاروق عمر، وعشرة أيام في السودان، وولدي، وتراجم شرقية وغربية وفي أوقات الفراغ. وجان جاك روسو. وثلاث قصص، هذي (زينب) و(أبيس) و(هكذا خلقت) و(الإمبراطورية الإسلامية) وغير ذلك.

٧. توفي يوم السبت ٥ جمادى الأولى ١٣٧٦ هـ الموافق ٨ ديسمبر ١٩٥٦م عن عمر يناهز ٦٨ عاما.

٨. روايته المسماة زينب أول رواية في العصر الحديث.

المراجع والمصادر:

١. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، ***الأعلام،*** الناشر: دار العلم للملايين، أيار/مايو ٢٠٠٢م.

٢. شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، ***الأدب العربي المعاصر في مصر،*** الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثالثة عشرة.

٣. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، ***شرح العقيدة الطحاوية***، د.ت.

٤. السيد مرسي أبو ذكري، ***المقال وتطوره في الأدب المعاصر***، الناشر: دار المعارف، الطبعة: ١٩٨١-١٩٨٢م.

٥. مشاري سعيد المطرفي، ***آراء محمد رشيد رضا العقائدية في أشراط الساعة الكبرى وآثارها الفكرية،*** (الكويت: مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

[1] . ***أرشيف منتدى الألوكة*** – ٤، تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م، هذا الجزء يضم: أخبار الكتب.

٦. أحمد محمد شاكر، ***جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر،*** الناشر: دار الرياض، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٦. عمر الدسوقي، ***في الأدب الحديث،*** الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: الجزء الأول ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م.

٧. علي بن نايف الشحود، ***موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة*** ١-٢٩، الباحث في القرآن والسنة.

٨. **أرشيف *ملتقى أهل الحديث*** – ٤، تم تحميله في: المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م، هذا الجزء يضم: خزانة الكتب والأبحاث، قسم المكتبة الشاملة، قسم المخطوطات، قسم البرمجيات الإسلامية.

٩. عبد الرحمن أبو عوف، ***بحوث ودراسات من موقع الإسلام اليوم***، (د.ت).

١٠. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الأعداد (٨١ – ١٠٢) .